الفلسفة النقدية وحياتنا المعاصرة

أ. عائشة أحمد عبد السلام المشري
كلية التربية بزوارة /جامعة الزاوية

ملخَّص البحث:

تعد الفلسفة النقدية المعاصرة من أبرز الفلسفات الحديثة التي تحاول نقد الظواهر الاجتماعية المختلفة في ضوء ما ينبغي أنْ يكون عليه المجتمع الإنساني المعاصر بمختلف جوانبه، سعياً منها إلى إحداث التغيير المطلوب الذي بدوره يؤدي إلى تغير هذه النظم وتطويرها، لهذا أصبحت الفلسفة النقدية المعاصرة منذ النصف الثاني من القرن الماضي من أبرز الفلسفات الإنسانية والتربوية التي سيطرت على أفكار الباحثين والمفكرين والفلاسفة.

وقد شكَّلت الفلسفة النقدية المعاصرة بشكلها الراهن مقاربات ترصد وتنقد وتحلِّل ما يحدث في الواقع المعاصر من ظواهر ومشكلات وأحداث، وتقدم أفكار تسهم في بناء الإنسان والمجتمع عبر التفكير النقدي، كما تضع حلول لمشكلات الإنسان، وبناء قدراته في العمل والحياة بما يتلاءم مع الوضع الراهن في العالم ومشكلاته الاجتماعية والتربوية.

كلمات مفتاحية: الفلسفة النقدية . عصر المعلومات ـ النقدية المعاصرة ـ مشكلات البيئة ـ التقدم التكنولوجي.

Abstract

Contemporary critical philosophy is one of the most prominent modern philosophies that attempts to criticize various social phenomena in the light of what the contemporary human society should be like in its various aspects, in an effort to bring about the required change, which in turn leads to the change and development of these systems. The past century is one of the most prominent human

and educational philosophies that dominated the ideas of researchers, thinkers and philosophers.

Contemporary critical philosophy in its current form has formed approaches that monitor, criticize and analyze what is happening in contemporary reality in terms of phenomena, problems and events, and present ideas that contribute to building man and society through critical thinking. Social and educational.

Keywords:

critical philosophy, information age, contemporary criticism, environmental problems, technological progress.

المقدمة:

تعد الفلسفة النقدية المعاصرة من الفلسفات الحديثة التي ترتكز على نقد الواقع الإنساني في ضوء ما ينبغي أنْ تكون عليه، ونقد نظم بناء الإنسان والمجتمع تربوياً واقتصادياً وقيمياً، لذلك برزت الفلسفة النقدية المعاصرة بقوة كإحدى الفلسفات الإنسانية والتربوية بداية من النصف الثاني من القرن العشرين، ولاقت قبولاً من الكتَّاب والمفكِّرين والفلاسفة بصفة عامة، ومن فلاسفة التربية بصفة خاصة، وأصبح لها رواد وفلاسفة بارزين من بينهم يورجن هابرماسوماكس هوركهايمر، وغيرهما.

وقد شكَّلت الفلسفة النقدية المعاصرة بشكلها الراهن مقاربات ترصد بعين نقدية وفاحصة ما يحدث في الواقع المعاصر من ظواهر ومشكلات وأحداث، وتقديم أفكار لكيفية بناء الإنسان والمجتمع والاستجابة لمواجهة مشكلات المجتمع عبر التفكير النقدي، كما شكَّلت انعكاساً لوضع حضاري وثقافي واجتماعي راهن، وانطلقت هذه الفلسفة من روح العصر ومهماته على تحديد الإطار الفكري في العالم، والحياة والإنسان والتربية، كما يرى كثير من المختصين والكتَّاب في مجال الفلسفة النقدية المعاصرة بتوجهاتها التربوية النقدية، وبأفكارها المتطورة المتعلِّقة بمشكلات التكوين الإنساني الراهن، وباقتراحاتها حول خطاب تربوي جديد لبناء الإنسان المعاصر، بذلك تمثل إحدى وأبرز الفلسفات التي تستحق مزيداً من البحث والدراسة والفحص المتعمق من جانب البُحاث والدارسين الذين قد يجدون لدى أصحاب هذه الفلسفة أفكاراً وتطبيقات تربوية أكثر ملائمة لتقديم حلول لمشكلات الإنسان، وبناء قدراته في العمل والحياة ، كما أنَّ العملية التربوية تحتاج في كل عصر وزمن إلى

الفكر الفلسفي النقدي؛ من أجل فهم عالمها المعاصر بما يتلاءم مع الوضع الراهن في العالم ومشكلاته الاجتماعية والتربوية.

مشكلة الدراسة:

تعكس الفلسفات التربوية الحديثة وفي مقدمتها الفلسفة النقدية المعاصرة بحثاً عن طرق جديدة لبناء الإنسان، وعن سبل للتفكير والعيش تكون مشتركة بين جميع الفلسفات، بالتالي هناك حاجة مستمرة إلى البحث في ذلك الموضوع والاستفادة منه في بناء الإنسان وتعليمه.

ولصياغة مشكلة الدراسة في صورة أسئلة بحثية، فالدراسة تطرح عدداً من الأسئلة، وتسعى للإجابة عنها وهي:

1- ما المقصود بالفلسفة النقدية المعاصرة؟
2- ما خصائص ومجالات الفلسفة النقدية المعاصرة؟
3- ما أهم روَّادها وفلاسفتها؟
4- ما الدور الذي تلعبه الفلسفة في حياتنا المعاصرة؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تقديم رؤية تربوية عصرية مقترحة من أجل الربط بين الفلسفة النقدية المعاصرة وحياتنا المعاصرة، والتعرُّف على الفلسفة النقدية كاتجاه فكري معاصر، يتوافق مع متطلَّبات الحياة الإنسانية.

أهمية الدراسة:

تتمثَّل أهمية الدراسة في هذا الموضوع في النقاط التالية:

1- تتناول الدراسة موضوعاً حيوياً كما تتطرَّق إلى إشكالية بحثية مهمة، تثير نقاشاً وجدلاً واسعاً، وتحتاج إلى البحث والدراسة، وهي إشكالية الفلسفة المعاصرة النقدية وحياتنا المعاصرة.
2- تمثل الدراسة الحالية خطوة أولى عن طريق البحث في الفلسفات التربوية المعاصرة، تلك الفلسفات المهتمة ببناء وتربية الإنسان.

3- تفتح الدراسة الحالية المجال أمام دراسات أخرى في مجال الفلسفة النقدية المعاصرة من ناحية، وفي مجال معرفة دور الفلسفة في حياتنا من ناحية أخرى.

منهج الدراسة:

تم استخدام المنهج الوصفي بالإضافة إلى المنهج التحليلي من أجل طرح الأفكار وتحليلها وتفسيرها.

يشتمل البحث على النقاط التالية:

أولاً- الفلسفة النقدية المعاصرة:

1- مفهوم الفلسفة النقدية المعاصرة:

هي اتجاه فكري وفلسفي له انتشار واسع النطاق في الوقت الراهن، يطرح من خلاله الفيلسوف مجموعة من القضايا التي تشكِّل إطار لنقد النظام الاجتماعي القائم، والكشف عن تناقضاته، باحثاً عن نظام تنتفي فيه هذه التناقضات، وتعد المدرسة النقدية من أهم المدارس الفلسفية التي تتصل بعلم الاجتماع الجديد، الذي نشأ من خلال جهود عديد من المفكرين، والفلسفة النقدية هي إحدى الفلسفات الحديثة التي تركِّز على نقد الواقع المجتمعي والإنساني في ضوء ما ينبغي أنْ يكون عليه[1] ، كما تركِّز على نقد الجوانب الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والقيمية أكثر من اهتمامها بوضع تصوير عن ماهيتها والسعي إلى تطويرها[2]، وتعكس الفلسفات التربوية الحديثة، وفي مقدمتها الفلسفة النقدية المعاصرة؛ بحثاً عن طرق جديدة لبناء الإنسان، وعن سبل جديدة للتفكير والعيش تكون مشتركة بين جميع الفلسفات التربوية، وبالتالي فهناك حاجة مستمرة إلى البحث في تلك الفلسفات والاستفادة منها في بناء الإنسان وتعليمه[3] .

2- طبيعة الفلسفة النقدية المعاصرة:

تعبِّر هذه الفلسفة عن حركة فلسفية شاملة، تستهدف تأكيد ضرورة التغير الأساسي والجوهري للأنماط الحضارية القائمة، وإذا كان هذا النقد يبدأ بتحليل سلبي، فالتغير يتطلَّب توفر شروط ثلاثة، أولها: يتمثل في توجُّه الفكر الفلسفي النقدي إلى الكشف عن التناقضات التي توجد في الواقع، ونفقد أحياناً تكامله، وتجعله عاجزاً عن الوفاء بالمتطلَّبات الأساسية للمجتمع باعتباره تجمُّعاً إنسانياً.

أمَّا الشرط الثاني: فيتمثل في امتلاك الحركة النقدية لتصور نموذجي لما ينبغي أنْ يكون عليه المجتمع، واكتشاف الآليات التي تحكم عملية التطور والانتقال إلى المجتمع المتحضِّر، ويتصل الشرط الثالث: بضرورة امتلاك الحركة الفلسفية النقدية لقوى اجتماعية تصبح هي العامل الثوري الذي ينتقل بالمجتمع ممَّا هو كائن إلى ما ينبغي أنْ يكون عليه[4]. حيث تبيَّن أنَّ الفكر الفلسفي النقدي قديم قدَّم الفكر البشري، وأنَّه على الرغم من أنَّ الفلسفة النقدية المعاصرة لها جذور تاريخية عميقة، إلا أنَّها بدأت في الانتشار الواسع والظهور في كثير من دول العالم في أوروبا وأمريكا الشمالية واللاتينية وأسيا وغيرها، وذلك بداية من منتصف القرن العشرين[5] وقد تنوَّعت مجالات اهتمام هذه الفلسفة.

3- مجالات تطبيق الفلسفة النقدية المعاصرة:

تنوَّعت مجالات اهتمام هذه الفلسفة ومنها: المجال الاجتماعي والسياسي والتربوي وغيرها، كما ارتبطت هذه الفلسفة في نشأتها وتطورها بقضايا دول العالم الثالث والدول الفقيرة، وكذلك ارتبطت بمدارس فلسفة شهرية مثل مدرسة فرنكفورت الفلسفية النقدية في ألمانيا وفروعها في عديد من الدول الأوروبية، ومركز الفكر النقدي في كاليفورنيا وفروعها[6].

كما أنَّ هذه الفلسفة اهتمت بالانفتاح على مجالات علمية مختلفة كالعلوم الإنسانية والانثروبولوجيا والتحليل النفسي وعلم النفس والتربية وغيرها، ممَّا أعطى لنتائجها وأحكامها مصداقية وقبول لدى الكثيرين[7].

4- خصائص الفلسفة النقدية المعاصرة:

تمثَّلت خصائص الفلسفة النقدية المعاصرة في تنوُّع مستويات النقد الفلسفي في هذه الفلسفة والنظرة الدائمة إلى الحداثة، وإلى كل ما هو جديد في المجتمع، ومقاومة الانتماء السياسي المباشر، والابتعاد عن كل استقطاب مؤسسي أو سياسي، والتفكير الدائم في مسألة التغير المجتمعي[8] وتنوَّعت اهتمامات الفلسفة النقدية المعاصرة من حيث مقارنة ونقد موضوعات واختصاصات متعدِّدة، والمزج بين الفلسفة والاجتماع والتربية في الفكر النقدي المعاصر، وغيرها من الخصائص الأخرى التي ساعدتها في الظهور والانتشار العالمي، والاستمرار كإحدى المدارس الفلسفية البارزة في السنوات والعقود القليلة الماضية[9].

5- رواد الفلسفة النقدية المعاصرة وفلاسفتها:

تبيَّن أنَّ الفلسفة ارتبطت بأسماء العديد من الفلاسفة والمفكرين النقديين المعاصرين أمثال يورجنهابرماس(1929-حتى الآن) وماكسهور كهايمر(1895-1973م)، وهربرت ماركيوز(1898-1979م)، ورايت ميلز(1916-1962م)، وغيرهم من الفلاسفة المعاصرين الذين كان لهم الدور الكبير في انتشار مبادئ وأفكار وتطبيقات الفلسفة النقدية المعاصرة في دول العالم[10].

ثانياً- دور الفلسفة في حياتنا المعاصرة:

لم يجرؤ أحد من الفلاسفة ولا حتى العلماء أنفسهم أنْ يستبعد الفلسفة أو يقلِّل من دورهم المهم في صنع الحياة الإنسانية، على الرغم من وجود تيار فلسفي يرفض الاتجاه العلمي في الفلسفة إذا جاز التعبير، وطالب بأنْ تظل الفلسفة تأملية[11].

ومن هنا فلا مجال لتهميش دور الفلسفة في حياتنا المعاصرة، حيث أنَّ ما نعانيه من مشكلات في حياتنا المعاصرة يتطلَّب أكثر من أي وقت مضى حلولاً لا يستطيع تقديمها سوى الفلاسفة، ولا يمكن معالجتها إلا بنظرة فلسفية تتسم بالشمول والحساسية الإنسانية، والقدرة على الفهم الأعمق لمعنى الحياة، ولطبيعة الإنسان والوجود ككل[12].

1- الفلسفة... ومشكلات عصر المعلومات والعولمة:

يعيش العالم الآن عصراً يطلقون عليه عصر المعلومات والانترنت، ولا شك أنَّه كذلك بالفعل حيث أصبح امتلاك المعلومات وصناعتها وآليات نشرها وطرق استخدامها من أقوى الصناعات المعاصرة وأخطرها، وبالطبع فمن يملك هذه الصناعة هو الذي يملك زمام المبادرة في حياتنا المعاصرة والموجّه الأساسي لها، سواء من ناحية المنع والإغراق الكلي، أو الإغراق الانتقائي، ومن ثم فالتعامل مع هذا العصر لابد أنْ نميز فيه بين السادة الصنَّاع، وبين المتلقين والمستهلكين، فثمَّة فلسفة للسادة يريدون ترويجها عبر هذه المعلومات، ونشرها حسب الأهداف الموضوعة، ففلسفة السادة واضحة لكل ذي عقل متأمل، وهي فرض الهيمنة الثقافية والمعلوماتية على المتلقين، ففلسفة المتلقين لابد أنْ تقوم على وضع استراتيجية معيَّنة للمواجهة والاستفادة في آن معاً، فالعصر لم يعد يقبل الانغلاق والتقوقع على الذات، حيث أصبح ذلك مستحيلاً، ومن ثم يجب التعامل مع معطياته بإيجابية، وتعني ضرورة امتلاك تكنولوجيا المعلومات بكل جوانبها، وذلك ليس فقط بغرض

التباهي والتفاخر بأنَّنا قد امتلكناها عبر شراء الأجهزة، وتصنيع بعض منتجاتها والقدرة على استخدامها، بل بامتلاك القدرة الذاتية على صناعة المعلومات المعبِّرة عن ثقافتنا وتراثنا وإنجازاتنا وبثها عبر نفس الآليات[14].

وهنا تكون المواجهة، مواجهة ثقافتهم بثقافتنا ويكون الحوار القائم على المشاركة الفاعلة من الطرفين في صنع الحضارة الإنسانية الجديدة، ذات الأبعاد المحقِّقة للتوازن الإنساني، فإنْ كانت الحضارة الغربية هي حضارة البعد الواحد الذي يركز على الرفاهية المادية، وتلبية مطالب الجسد الحسية، فالحضارة العربية الإسلامية هي الحضارة الأشمل، فهي لا تغفل مطالب الجسد، فإنْ ركَّزت أكثر على مطالب الروح وعلى الإيمان بأنَّ الحياة ليست فقط هي هذه الحياة الدنيا المترفة. بل ثمَّة حياة أخرى تتطلَّب أنْ نعمل من أجلها، ولأبد من التوازن في حياتنا بين مطالب الجسم ومطالب الروح)15].

إنَّ مواجهة المعلومات بالمعلومات مسألة ضرورية، والحوار عبر المعلومات المتبادلة هو الأداة لصناعة هذه الحضارة الإنسانية الجديدة التي ينبغي ألاَّ يكون فيها مكان لتلك التمييزات الغريبة بين الشمال والجنوب، العالم الأول والعالم الثاني، الأغنياء والفقراء، فالإنسان هو الإنسان والقدرات هي القدرات، وإنْ اختلفت المواهب وتنوَّعت الوظائف وتفاوتت الطبقات[16].

إذن لقد بدا لنا بوضوح أنَّ الدور الذي تلعبه الفلسفة في عصر المعلومات والعولمة دور أساسي وجوهري حيث أنَّها هي التي يكتسب دارسها القيم التي تجعله قادراً على التعايش مع العصر، واستشراف آفاق التقدُّم فيه.

إنَّ الفلسفة ستكسبه المهارات التالية:

1. القدرة على الحوار الإيجابي مع الآخر.
2. قبول الرأي والرأي الآخر، والتعامل بإيجابية مع الرأي المخالف لرأيه.
3. القدرة على الانتقاء من خلال التلقِّي لكل ما يطرح. ففي عصر المعلومات يأتي السيل المتدفِّق لها في كل شيء، ومن كل الاتجاهات وبلا ضوابط محدَّدة.
4. القدرة على التأثير على الآخر عبر القدرة على الإقناع العقلي، وليس الإملائي إذ لم يعد هناك أي مجال لكي تملئ على الآخر أرائك أو عقيدتك[17].

2- الفلسفة: مشكلات البيئة والتقدم التكنولوجي:

من المعروف أنَّ المشكلات البيئية والمشكلات الناتجة عن التقدُّم التكنولوجي هي أخطر التحديات التي يواجهها الإنسان المعاصر، وفي الحقيقة أنَّ الفلسفة منذ الفكر الصيني الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، وكذلك فلاسفة الرواق اليوناني منذ القرن الثالث قبل الميلاد، والفيلسوف الفرنسي الكبير جانجا كروسو في القرن الثامن عشر، قد تنبَّهوا إلى خطورة التعدِّي على البيئة الطبيعية للإنسان، لدرجة دعت الإنسان إلى ما أسماه ويواي_we_wie أي عدم الفعل والاكتفاء بما تقدِّمه له الطبيعة[18].

ونفس الشيء دعا إليه الرواقيون في العصر اليوناني، حينما نادوا بأنْ يتعاطف الإنسان مع الطبيعة كما تتعاطف معه الطبيعة لدرجه دعت أحدهم إلى القول معبِّراً عن ذلك التعاطف بأنَّ أعين السماء تتلألأ بالدموع لمصائب الإنسان[19].

وازداد الأمر وضوحاً وحيويةً وإدراكاً للخطورة اعتداء الإنسان على البيئة الطبيعية على يد جانجا كروسو الذي عاش في عصر بدأت الآلة فيه تدخل مجال الصناعة وتلوث البيئة، ومعها تلوثت أخلاق الإنسان وتغيَّرت فطرته السمحة، لدرجة دعت روسو إلى التساؤل الساخر هل ساهم إنشاء العلوم والفنون في تهذيب الأخلاق؟ وهو الذي طرحه كعنوان بحث نال به جائزة الأخلاق من أكاديمية العلوم والآداب عام 1750م، وقد جاءت إجابته عن ذلك السؤال الساخر أنَّه بقدر ما كانت علومنا وفنوننا تتقدَّم نحو الكمال بقدر ما كانت أخلاقنا تفسد ونفوسنا تتعفَّن[20].

وعلى الرغم من كل هذه التحذيرات والصيحات التي أطلقها الفلاسفة عبر العصور منادين الإنسان أنْ يحترم الطبيعة، وأنْ يقدِّر صنيعها له، ولا يتدخَّل فيها إلا بقدر محدود، يسمح له بحياة كريمة آمنة، إلا أنَّ كل هذه التحذيرات والصيحات لم تمنع العلماء من أنْ يتقدَّموا في أبحاثهم بغرض السيطرة التامة على الطبيعة، وها نحن على حد تعبير(ميتشوكاكو) أحد أعظم علماء وفلاسفة العلم المعاصرين نكاد نصل إلى هذا العصر، عصر السيطرة على الطبيعة[21]، والمقصود الحقيقي من هذه السيطرة لدى العلماء المعاصرين هو التلاعب بالطبيعة كيفما شاء الإنسان، وتغيير طبائع الأشياء لتتلاءم مع حاجاته المادية والغرائزية المتجدِّدة، والتي لا تنتهي، وإطالة عمره بلا حدود، أقصد فلاسفة القرن الحادي والعشرين؛ لأنَّ المستقبل الذي يقودنا إليه العلماء ومعاونيهم من التقنيين أصبح

مستقبلاً ينذر بقدر كبير من المشكلات الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية للبشر، ولن يكون في مقدور أحد في المستقبل التوصُّل إلى حلول لها، لو لم يتوقَّف الجميع لحظة ويتساءلوا نفس السؤال الذي سأله روسو في القرن الثامن عشر إلى أين يقودنا هذا التقدُّم التقني؟ إلى المزيد من السعادة للبشر والارتقاء بأخلاقهم أم إلى تدميرهم والقضاء التام على قدرتهم على الشعور بالسعادة كما ينبغي أن يشعر بها الإنسان وليس الإنسان الآلة[22].

وهنا يأتي دور الفلسفة والفيلسوف حيث أنَّ فروعاً فلسفيةً جديدةً مثل فلسفة البيئة وأخلاقيات البحث العلمين والأخلاق التطبيقية المتعلقة بالهندسة الوراثية، وعلوم الجينات والحاسبات، وغيرها أصبحت ضروريةً للمشاركة لهذا التقدُّم المذهل في اتجاه يمكن أنْ نطلق عليه الشر العلمي وتوجيهه إلى العمل لصالح البشر، وليس لعدم حياتهم الاجتماعية والأخلاقية رأساً على عقب[23].

إنَّ الفيلسوف وحده الذي صار عليه الآن أكثر من أي وقت مضى، أنْ يعلي من صوت الحكمة والتعقُّل، ويبصر علماء عصره بخطورة توجُّههم وخطورة النتائج التي سيقودون إليها المجتمع الإنساني بمواصلة الأبحاث العلمية، بعيداً عن القيم الأخلاقية والدينية الحاكمة لحياة البشر، وسنن الكون والوجود، وربما كان من الضروري في عصرنا هذا أنْ يمد الفلاسفة إبصارهم إلى المستقبل، وأنْ يقرؤوا تنبؤات العلماء بصدده؛ ليوضِّحوا للبشر الصورة القائمة التي ستكون عليها حياتهم بعد أنْ تتحكَّم فيها الآلة تماماً، وبخاصة بعد إنْ تصبح هذه الآلة خارج السيطرة البشرية، وتمتلك القدرة على الفاعلية الذاتية والتحكُّم الذاتي[24].

إنَّ فلسفة المستقبل أصبحت الضرورية لقراءة ما يمكن أنْ تكون عليه صورة المستقبل بكل جوانبه، وبخاصة من النواحي التكنولوجية والبيئية، وما يترتَّب عليها من نتائج اجتماعية وأخلاقية خطيرة، تنذر كما قلنا فيما سبق بعواقب وخيمة، قد تذهب إلى حدِّها الأقصى، بأنْ يفنى البشر أنفسهم نتيجة عدم القدرة على التحكُّم، فيما اخترعوه من آلات وحاسبات وبشر مستنسخون وإنسان إلى..... الخ[25].

لقد تخيَّل الأدباء واخترع العلماء وهم سائرون في تطوير اختراعاتهم واكتشافاتهم إلى النهاية، وجاء دور الفلاسفة ليتأملوا الواقع ويرشدوننا إلى ما ينبغي أنْ يكون عليه الحال، وصورة التقدُّم التي تحقق إنسانية الإنسان تلك الصورة البديلة لما نحن سائرون فيه فعلاً بشكل إلى ميكانيكي الآن[26].

إنَّ القيم التي يمكن للفلسفة أنْ تزود بها الإنسان المعاصر إزاء هذا النوع المستحدث من المشكلات تتمثَّل في الآتي:

1. إنَّ الحفاظ على البيئة الطبيعية الملائمة لحياة الإنسان ضرورية، مثل ما هو ضروري أنْ يساعد التقدُّم العلمي والإنساني على التكيُّف مع هذه البيئة بسلام، وبدون قهرها أو التعدِّي عليها.
2. إنَّ التقدُّم في ميدان الهندسة الوراثية، وفي ميدان العلوم ينبغي أنْ يقتصر على معالجة الأمراض والحفاظ على صحة الإنسان، وصحة أعضائه دون إغراق في إعلام الإنسان بتفاصيل مستقبل حياته، لما يمثِّله ذلك من خطر على حيوية الإنسان وإبداعه في حياته، مهما كانت قصيرة أو مهما سيواجه فيها من مشكلات صحية.
3. إنَّ التقدُّم العلمي ينبغي ألا يستغل العلم في القضاء على عوامل السعادة الطبيعية للإنسان؛ لتستبدل بعوامل صناعية بدلاً من أنْ يزيد هذه العوامل الطبيعية للسعادة وينميها ويوسِّع من آفاقها ومجالاتها[27].

3- الفلسفة مرآة للحياة وللواقع وموجِّهة لهما:

إنَّ الفلسفة بقدر ما هي مرآة للواقع الحي ومفسِّرة إياه، كما أشار إلى ذلك هيجل الفيلسوف الألماني الكبير بقوله: "إنَّ الفلسفة هي عصرها ملخصَّاً في الفكر" فهي أيضاً دافعة إلى التطور والتقدُّم، مثلها مثل العلم وإنْ كانت الرؤية الفلسفية للتطور والتقدُّم الإنساني تتميز دائماً بأنَّها تكون في اتجاه تعظيم قدرات الإنسان على اكتساب أكبر قدر من السعادة، تلك السعادة المتوازنة التي تتيح لكل ملكات الإنسان أنْ تعمل فإنَّ نتائج عملها بتفاؤل وبنظرة تملؤها الثقة في مستقبل أفضل للبشر[28].

والفيلسوف عادة ما يمتلك القدرة على تغيير اتجاهه بمرونة عقلية فائقة، فهو حينما يجد أنَّ الفكرة الفلسفية التي عاصرها قد استنفذت أغراضها، يحوِّل دقة العقل بسرعة إلى اكتشاف الفكرة الأكثر جدة والأكثر قدرة على قيادة الإنسان إلى التحوُّل نحو ما يمكن، لأنْ يكون نقطة انطلاقة جديدة نحو عصر جديد يحقِّق فيه الإنسان صورةً أرقى وأفضل للتقدم![29].

وتاريخ الفلسفة هو خير شاهد على أنَّ الفيلسوف كان دائماً سبَّاقاً إلى اكتشاف نقطة الانطلاق الجديدة لعصر جديد للتقدُّم البشري! فقد تسلَّم فلاسفة اليونان راية التفلسف

من مفكري الشرق القدماء، وقد اصطبغ بصبغة من اختلاط الأسطورة بالعقل، والخيال بالواقع، فلقد كانت صورة للفكر غلب عليها الغموض والإبهام. فكان دور هؤلاء الفلاسفة اليونان أنْ حوَّلوا مسار الفكر الإنساني ليكون أكثر عقلانية، وأكثر وضوحاً وأكثر قدرة على تحليل الواقع والظواهر كما هي عليه فعلاً وصولاً إلى القوانين المفسِّرة لها منجهة أخرى، وساروا نحو ترسيخ مفهوم العقلانية في فهم حقيقة الإنسان مؤكدين على العامل العقلي، وجاء فلاسفة الإسلام بعد ذلك وجاءت معهم صورة الميتافيزيقا، وهذا ما تلقَّفه عنهم فلاسفة الغرب في مطلع عصر النهضة، فأصبح العصر الحديث هو عصر العلم والعقل في وحدة واحدة، وبدأ عصر جديد للبشرية، وها نحن نعيش في ختام تلك الفترة التي عرفت منذ مطلع العصر الحديث بالحداثة الغربية[30].

وهكذا حال الفيلسوف دائماً كما بدا لنا من ذلك الاستعراض السريع لتطور الفكر الفلسفي عبر مراحله الرئيسية: مرحلة الفكر الشرقي، ومرحلة الفكر اليوناني، ومرحلة الفكر في عصر النهضة والعصر الحديث، ثم الفكر المعاصر، فالفيلسوف لم يكن يوماً منعزلاً عن واقعه الفكري فضلاً عن واقعه الاجتماعي والسياسي– والفيلسوف في ذلك الوقت هو الذي رسم لمعاصريه دائماً الطريق الجديد– وهكذا فعل أفلاطون وأرسطو في العصر اليوناني، وهكذا فعل الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون في العصر الإسلامي.

وصولاً إلى عصر النهضة مكيافيلي وهكذا فعل جان جاك روسو في القرن الثامن عشر، وأخيراً فلاسفة القرن التاسع عشر، والقرن العشرين الفلاسفة المعاصرون[31] ولا يزال دور الفيلسوف لم يتغير في القرن الحادي والعشرين، إنَّه هو الذي أصبح يعبِّر عن عصر جديد يرسم ملامحه ويكشف أبعاده.

4– دراسة الفلسفة في حياتنا المعاصرة.

لعل سائل يسأل بعد كل ما قلناه في الفقرات السابقة، من أين وكيف نحصل على هذه الرؤى القادرة على تطوير حياتنا المعاصرة مستفيدين من دراسة الفلسفة؟

والحقيقة أنَّ هذا السؤال الأصعب الذي قد يكون هو دافع المشككين في قيمة الفلسفة، أولئك الذين يرون أنَّه لا جدوى منها ولا فائدة ترجى من دراستها!

وعلى هذا السؤال تحاول الباحثة تقديم إجابة قد تكون مفاجأة لمحبي الفلسفة ولأعدائها على حد سواء، فالفلسفة لا تكمن فيما قدَّمه الفلاسفة من مذاهب ورؤى قد تكون

تبريرية أو تفسيرية أو تغييرية للواقع المعاش، علماً بأنَّ هذا هو التعريف السائد لوظائف الفلسفة لمهام الفيلسوف[32] إذن فما هي الفلسفة؟

إنَّها في اعتقادي هي فن الحوار الذي يوصلنا إلى إدراك هذه المذاهب، أو إلى الوعي بهذه الرؤى، إنَّها تكمن في الكيفية التي توصَّل من خلالها الفيلسوف إلى هذا المذهب، أو هذه الرؤية، والدارس للفلسفة عبر العصور المختلفة يعرف أنَّ هذا الفيلسوف قال كذا، وأنَّ ذلك هو صاحب المذهب الفلاني.

وإنَّما ينبغي أنْ يدرسها من خلال التساؤل السابق عن: الكيفية التي وصل بها هذا الفيلسوف إلى هذا المذهب، أو تلك الرؤية الجديدة فحينئذ سيتدَّرب الدراس على التفلسف من خلال هذا الإدراك للكيفية التي تفاعل بها هذا الفيلسوف، أو ذلك مع واقعه الخاص الذي عاشه وعايشه، ويعرف كيف أنَّه لم يكن أمامه إلى الوصول إلى هذه الحلول التي قدَّمها لمشاكل هذا الواقع، وأنَّ هذه الحلول لم تكن من خيال الفيلسوف بصورة مطلقة، بل قاده إليها تلك الظروف التي عايشها، ووجَّهته إليها الحاجة البشرية الملحة لهؤلاء البشر الذين عاصرهم[33]، وليس معنى ذلك أنَّه لن يستفيد من آراء هؤلاء الفلاسفة السابقين فيما واجهوه من مشكلات قد تتماثل مع مشكلات عصره وواقعه، بل على العكس من ذلك، فهو على ضوء ما يدركه من مشاكل واقعه الحي، قد يستفيد من مقولة أو من رأي قاله فيلسوف من قرون غابرة في تحليل، أو في الوصول إلى حلول مناسبة لهذه المشكلات الحية التي يعيشها، فقد واجهت أنا شخصياً عصر المعلومات وحلَّلته على ضوء عبارة قالها: هيرقليطس الفيلسوف اليوناني الشهير – وهي (أنَّ المعلومات الكثيرة لا تكفي للفهم)[34].

وحلَّلت وواجهت عصر العولمة بحديث فلاسفة الرواق عن الدولة العالمية، والفرق كبير بين العالمية التي دعا إليها الرواقيون في ضوء الأصل الواحد للبشر والمساواة بينهم، وبين المعلومة التي يقصد بها الآن تأطير البشر في إطار غربي أمريكي وصهرهم في بوتقة واحدة.

الخاتمة:

في النهاية تأمل الباحثة أنْ تكون قد قدَّمت رؤية تربوية وفلسفية جديدة، تمثِّل انعكاساً صادقاً للفلسفة الاجتماعية، وتمثِّل الواقع الحالي، ومن هنا نستخلص من موضوع دراستنا لهذا البحث ما يلي:

1- من خلال دراسة الفلسفة النقدية المعاصرة تبيَّن أنَّ هذه الفلسفة تعبر عن حركة فلسفية شاملة، تستهدف تأكيد ضرورة التغيير الأساسي والجوهري للأنماط الحضارية القائمة.

2- لا بد أنء يكون التقدُّم العلمي لخير جميع البشر، وأنَّ ثمة حدود ينبغي أنْ يقف عندها هذا التقدُّم، فلا يتجاوز خطوطاً حمراء وضعها الميراث الإنساني عامة، والأخلاقي والديني خاصة، فلا يصح أنْ يكون هذا التقدُّم التقني في صالح فئة معيَّنة من البشر، ولا يجوز أنْ تختلط بسببه الأنساب، ولا يصح أنْ يسمح البشر من خلاله للآخرين أنْ يقوموا بدورهم الحيوي في الحياة.

3- إنَّ مستويات النقد الفلسفي في الفلسفة النقدية المعاصرة تنوَّعت، وأصبحت تنظر إلى كل ما هو جديد في المجتمع، وتبتعد عن الانتماءات السياسية، والتفكير الدائم في القضايا التي تؤدي إلى تغير المجتمع، وتمزج بين الفلسفة والاجتماع والتربية في الفكر النقدي المعاصر.

هوامش البحث.

1. إ.م- بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، عدد 165، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والعلوم والفنون، سبتمبر-1992م، ص165.
2. إبراهيم الحيدري، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، سلسلة الحوار المتمدن، العدد(4286) سنة 2013م، ص18.
3. ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، مجلد(14) تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرون، القاهرة، دار المعارف، سنة1984، ص65.

4. أحمد الأمين، النقد الفلسفي العربي المعاصر بين الأيديولوجيا والفلسفة، في كتاب: رهانات الفلسفة العربية المعاصرة، الرباط(المغرب)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2010، ص115.
5. أحمد عبد الحليم عطية، الفلسفة الغربية والفكر العربي المعاصر، "التوازي والتكافؤ المؤجل" في كتاب– رهانات الفلسفة العربية– الرباط(المغرب)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
6. السيد سلامه الخميسي(د.ت)، التجديد في فلسفة التربية العربية لمواجهة تحديات العولمة: رؤية نقدية من منظور مستقبلي، الرياض، ص138.
7. بتيرل– بيرجر وآخرون، التحليل الثقافي، ترجمة: فاروق أحمد مصطفى وآخرون، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة2009م، ص18.
8. جون ليتشه، خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة: فاتن البستاني– بيروت– المنظمة العربية للترجمة والنشر، سنة2008، ص238.
9. حسن حنفي، رهانات الفلسفة في الوطن العربي والموقف الحضاري في كتاب– الفلسفة العربية المعاصرة، الرباط– المغرب، سنة2010، ص150.
10. أحمد الأمين، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة.
11. رايت ميلز، نظريات الصراع السياسي، ترجمة: المؤسسة الشاملة للنشر والتوزيع، سنة2012م، ص90.
12. رمضان بسطاويسى محمد، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، سنة1998م، ص14.
13. جون ليتشه، مرجع سبق ذكره، ص280.
14. سالم يقوت، فلسفة التواصل عند هابرماس، الرباط(المغرب)، جامعة حمد الخامس، سنة 2012م، ص88.

15. سامي محمد نصار، قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية للنشر، ص19.
16. سامي محمد نصار وجمال عبد المنعم أحمد، مدخل إلى تطور الفكر التربوي، الكويت: منشورات ذات السلاسل، سنة 1998م، ص50.
17. سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، سلسلة عالم المعرفة، عدد 198- الكويت، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والفنون، يوليو، 1995م، ص100.
18. سيف الإسلام مطر، وهاني عبد الستار فرج، خطايا السياسة التعليمية في مصر، رؤية تحليلية ناقدة، مايو 2009م.
19. شبل بدران، أزمة الفكر التربوي، القاهرة، المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، سنة2000م، ص80.
20. سعيد إسماعيل علي، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة.
21. سيف الإسلام مطر، نفس الصفحة والمرجع.
22. شبل بدران، ديمقراطية في الفكر التربوي النقدي، القاهرة، عين للدراسات الاجتماعية والبحوث، سنة 2006م، ص55.
23. عادل السكري، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، سنة 1999م، ص165.
24. مصطفى النشار، فلسفة الثقافة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص49 وما بعدها.
25. أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، دار قباء للنشر والطباعة، 1977م، ص409.
26. مصطفى النشار، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، دار قباء للنشر والطباعة، القاهرة، 1997م، ص89.
27. فيشيوكاكو، رؤى مستقبلية وكيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين، ترجمة: د.سعد الدين خرفان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2001م، ص13.

28. مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، القاهرة، ص55.
29. المرجع السابق، ص236.
30. مصطفى النشار، مدخل جديد إلى الفلسفة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 1998م، ص29-32.
31. مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، مرجع سبق ذكره، ص13 وما بعدها.
32. مصطفى النشار، مدخل جديد إلى الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص28-29.
33. نحن وعصر المعلومات والانترنت، ضد العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، منشور بمجلة علمية، القاهرة، الطبعة الثانية، 2001م، ص72.
34. الفلسفة اليونانية ومشكلات الواقع المعاصر، منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد(62)، العدد(2)، سنة2002م، ص339.